نيسان ١٩٧٩... ونيسان ١٩٨٢ زوعا من التأسيس إلى العمل

هرمز طيرو

ان أسطفاء التاريخ العظيم للحركة الديمقراطية الآشورية هو نتيجة نضال وأيمان وعطاء.. أنه في السياسة ربيع دائم لسنوات دائمة تلك التي لا يطولها خريف. فالحركة التي نهضت "تأسست" في ١٢ نيسان ١٩٧٩ ضمن ظروف وطنية وقومية يبدو فيها أفق الحياة مكتظاً بالغيوم السود، والريح السموم، زرعت منذ السبعينات البداية والبشارة، وصاغت في ١٥ نيسان ١٩٨٢ النهوض والتطبيق في النهج والشعار، ولاقت في التسعينات لذة الابداع وتعيش الآن مرحلة الأنتشار الوطني والقومي والعالمي. بين البدايات الأولى، حيث صاغ المبشرون أولى الاحلام الثورية حيث لم تكن الثقة في وجدان الأمة راسخة بعد، ومع ذلك زرع الرواد المؤسسون "يوسف توما، يوبرت بنيامين، يوخنا ايشو، نينوس بثيو، يونادم كنا يوسف بطرس" البذرة الأولى في الثاني عشر من شهر نيسان ١٩٧٩ ونمت وكبرت الشجرة واينعت ثمارها في الخامس عشر من نسيان عام ١٨٨٢، عام العطاء والقرار والتحدي بعد سنوات من التاسيس والعمل السري التنظيمي البحت.

وأنطلاقاً من هذه الرومانسية الثورية نستطيع أن نقول: أن في حياة كافة الشعوب والأمم محطات مهمة فيها أسباب النجاح واسباب الفشل "والفشل بالنسبة للشعب الثوري هو نقطة الانطلاق، وهو مصدر إلهام لهم أكثر من الأنتصار لأنه يجمع بين التجربة والمعرفة".

وهكذا هو شعبنا فبعد سلسلة من الهزائم السياسية منذ نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين قادت الحركة الديمقراطية الآشورية في محطتين مهمتين النهوض بشعبنا وأمتنا مرة ثانية وبشكل يعالج معنوياً على الأقل تداعيات السابق. وكان لهاتين المحطتين تأثير كبير في أختيار الأيدولوجية الوطنية والقومية الثورية الحديثة

المحطة الأولى ١٢ نيسان ١٩٧٩

في بغداد وكركوك والسليمانية والموصل.. كانت البداية.. بعدها بين أبناء شعبنا في كل ارجاء العراق والعالم الشاسع كانت أفكار "زوعا" يوماً بعد يوم تنتشر مثل الضياء.. ضياء الأمة العظيمة. وكان الرومانسيون الكلدوآشوريون السريان الأوائل أمثال نعوم وآشور يوسف وفريد نزهه وآغا بطرس ومالك يوسف" قد برهنوا مع الأسرار على أنهم لم يكونوا يحلمون بالآتي في ١٢ نيسان ١٩٧٩ على هوى التنظير أو الفكر المجرد، بل كانوا يحلمون بوعي جمعي لقوانين الحياة ومفاصل المجتمع وأبعاد العملية الثورية

وقد حاول الرواد الأوائل والمثقفون من أبناء شعبنا ومنذ القرنين المنصرمين من بلورة مفاهيم وحدة الأمة، ووعي محاربة الطائفية والشوفينية والانعزالية والعنصرية المقيتة التي كانت سائدة في ذلك الوقت، وأنقلابية الأنسان الكلدوآشوري السرياني على واقعه المتخلف الفاسد من أجل بناء مجتمع ينادي بالديمقراطية و" التحرر " ولم تكن كلمة " التحرر " مبهمة وغير مفهومة لدى مؤسس الحركة – زوعا بل كانت كلمة التحرر مرتبطة ديالكتيكيا بالحياة السياسية والثقافية والأجتماعية، ولم تكن في يوم من الأيام خارج اطار الانسان الكلدوآشوري السرياني وشخصيته وأحلامه وفكره ويقظته، ومن هنا جاء شعار زوعا " عراق ديمقراطي حر.. الأقرار بالوجود القومي الآشوري " تأكيداً جديداً على الأيمان الاول "أيمان الرواد الأوائل". يقول الشهيد يوسف توما : أن كل ما تقوم به الحركة الآن وما سوف تقوم به في المستقبل ليس إلا تحقيقاً لذلك الأيمان، ذلك الأيمان الذي لن نستطيع الاستغناء عنه في يوم من الأيام حتى بعد أن تنتشر أفكار الحركة– زوعا بين أبناء شعبنا، فهو الشرط الأساسي، وهو الدعامة المتينة لحركتنا ولشعبنا"٢"

فمبادىء الحركة الآن كتعبيرات ذهنية هي بحاجة إلى فكر تطبيقي وعمل طويل، وإلى دراسة وتحليل وبحث لكي ترتقي وتتطور شيئاً فشيئاً، والتقيد ايضا من دراسات الحركات الثورية الأخرى، ومن نتائج التحليل العلمي الذاتية.

وها هي الحركة الديمقراطية الآشورية اليوم بكوادرها وأعضائها وأصدقائها ومؤازريها تحتفي بالذكرى الثانية والثلاثين لتأسيسها، حيث تمثل بعد الأقتحام والأفكار الكبيرين وكذلك النهوض الذي حققته خلال العقود الثلاث الماضية الأمثولة البهية على مستوى الخلق الجبار والمبادىء السامية والأستقلالية في أتخاذ القرار، لأن الحركة أستطاعت أن تحقق توازنها بين النظرية والتطبيق لحساب الأنسان الكلدوآشوري السرياني.

المحطة الثانية ١٥ نيسان ١٩٨٢

لقد دخلوا التاريخ منذ ذلك الحين"٣" فبعد النزول في برواري بالا في ١٥نيسان١٩٨٢ "كما نزل غيرهم في السييرا مايسترا في كانون الأول ١٩٥٦"٤" وصلها إلى منطقة " كوماتا " على نهر الخابور مقر كافة الأحزاب المعارضة لنظام الحكم في بغداد في ذلك الوقت، منذ ذلك الوقت شكل الرجال الخمسة "نينوس بثيو، يوسف بطرس، سركون يوسف، يوخنا داود وكوركيس خوشابا" النواة الأولى أي "المفرزة الأولى" لمرحلة الانتقال من العمل السلبي إلى المقاومة الإيجابية، انها مرحلة انطلاق الكفاح المسلح للحركة الديمقراطية الآشورية، وهذه المرحلة لم تكن بالمفهوم العسكري لنظرية الكفاح المسلح بل حسب مفهوم زوعا الفكري، أي مرحلة العمل العلني لدى زوعا بعد سنوات من التأسيس والعمل السري والتنظيمي البحت. في منطقة كوماتا القريبة من قرية "مركة" الكلدوآشورية التقى الرجال الخمسة "وفد زوعا" قيادة الفرع الأول للحزب الديمقراطي الكردستاني وقيادة قاطع بهدينان للحزب الشيوعي العراقي الذي ضم القائد توما توماس ومعاونه ننخا البازي، كما التقى وفد زوعا قيادة فرع دهوك للحزب الأشتراكي الكردستاني، وفي جميع هذه اللقاءات قدم وفد قيادة زوعا نبذة عن فكر ونهج الحركة الديمقراطية الآشورية وخطها السياسي ومن ضمنها توجهها الجاد للأنضمام إلى الجبهة الوطنية الديمقراطية العراقية "جود" القائمة في حينها. وكان جواب الاحزاب جميعها : أن التعاون والعمل الميداني المشترك ممكن، لكنهم بالنسبة إلى الأنضمام إلى الجبهة "جود" فأن هذا الأمر يتطلب حتماً لقاءات وأجتماعات زوعا مع قيادات تلك الاحزاب والمتواجدة في مثلث الحدود العراقية التركية الأيرانية.

عندها صار قرار زوعا التوجه إلى المثلث الحدودي وعلى الفور تمت الاستعدادات وتوجه وفد القيادة خلال ايام إلى هناك، وتكون وفد قيادة زوعا من الرجال الخمسة وهم الرعيل الأول القادم من بغداد، ولم يكونوا رجال حرب مدربين، ولا هم رجالا متمرنين على الحياة الجبلية، بل كانوا يتصفون بالصفات الخلقية والبدنية والعقلية التي يجب أن يتحلى بها الثائر: "انها مزيج غريب من الشمائل المجيدة والصفات الحميدة كالبراعة والتفاؤل والتحمل والصلابة والشجاعة، ولهم هدف يغذيهم " هذا الهدف يجب أن يكون بسيطاً وملموساً وليس معقداً ولا خيالياً، بل يجب أن يكون محكماً وواضحا بحيث يستطيع الرجل أن يضحي من أجله بحياته دون أي تردد " وليس من الضروري أن يكون الهدف شيئاً عظيماً جداً، فهو بالنسبة للمزارع قد يكون امتلاك الارض، وللعمال اجراً أحسن، وكلما كان الهدف أكثر تحديداً كان تصميم الثائر أقوى وأشد"

وكذلك الأمر لتجهيزهم الذي كان سيئاً بمقدار ما كان الجو والأرض بجبالها الوعرة والقاسية سيئين، وكانت الرحلة طويلة وقاسية، وقد عانى الجميع من الحالة الجديدة، وكان فقدان الخبرة لدى نينوس بثيو وباقي المجموعة خلال الأيام الأولى من المغامرة الثورية بمثابة دليل إلى ما ينبغي تجنبه، ومع ذلك فإن الأخطاء التي يقع فيها هؤلاء الرجال في بدء عملهم، غالباً ما تكون خارطة الطريق للنجاح فيما بعد. وتؤكد جميع الأستراتيجيات التي تتناول هذا النوع من العمليات "الكفاح المسلح" خطورة الفترة الأولى، اذ يكفي أن تقع بضع هفوات مصحوبة بشيء من سوء الطالع حتى تمحق المجموعة بأكملها منذ البداية. ومع ذلك ساروا شهراً كاملاً ودب التعب في صفوف المجموعة ولكنهم أبدوا جميعاً أستعداداً لتحمل العناء، وأثناء الفترات المخصصة للراحة، كان النقاش والسجال يجري بينهم حول عمل الكفاح المسلح بين النظرية والممارسة، وكان السؤال منذ البداية يدور : هل يمكن لزوعا القيام بحركة مسلحة ثورية بدون نظرية ثورية؟. لكن نتيجة للنضج وبلوغ حتمي لوعيهم، فقد انطبعت في نهجهم وسلوكهم نظرية وكأنها محاولة لأقناع ذاتي تقول : بما أن حركتنا الديمقراطية الآشورية حالة فريدة لدى شعبنا وأمتنا في حياتنا المعاصرة، فأنه يمكن القيام بعمل مسلح ثوري في حال تمت القراءة الصحيحة للواقع التاريخي، وفي حال تم استخدام مناسب لقواها حتى ولو لم تكن تعرف النظرية. وأخيراً وصلوا المثلث "العراقي الايراني التركي" بعد شهر من السير كان غنيا بالأحداث، وفور وصولهم تم الأجتماع بالسيد مسعود البارزاني رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني والسيد علي عبدالله نائب رئيس الحزب، وكذلك تم اللقاء مع السيد جلال الطالباني الأمين العام للأتحاد الوطني الكردستاني وعدد من اعضاء القيادة والمكتب السياسي، بعدها جرى لقاء السيد عزيز محمد السكرتير العام للحزب الشيوعي العراقي والسيد سليمان بوكا المسؤول العسكري للحزب وعدد من اعضاء المكتب السياسي، وكذلك التقوا بالسيد رسول مامند السكرتير العام للحزب الاشتراكي الكردستاني. بعد فترة قصيرة من الأنتهاء من هذه الأجتماعات حدث تطور هيكلي على المستوى التنظيمي لزوعا نتيجة التماس مع الأحزاب، حيث أن القيادة المؤقتة في منطقة الكفاح المسلح رأت أن يكون للحركة– زوعا ما يلي:

أولاً: سكرتير عام كما هو جار لدى بقية الأحزاب بدل "المسؤول السياسي" للحركة الذي كان يشغله آنذاك نينوس بثيو وذلك بعد الكونفرانس التأسيسي للحركة، حيث تم أنتخاب السيد نينوس بثيو سكرتير عام للحركة الديمقراطية الآشورية "القيادة المؤقتة".

ثانياً : مكاتب مركزية وقد تولاها كل من:

1 – يوسف بطرس مسؤول المكتب العسكري.

2 – سركون يوسف مسؤول مكتب الثقافة والاعلام.

3 – يوخنا داود مسؤول مكتب الأدارة.

4 – كوركيس خوشابا مسؤول مكتب التنظيم والعلاقات. وقد أيدت القيادة المؤقتة– الداخل – هذه المقترحات، وبذلك بلغت الحركة مرحلة من النضوج النظري والتطبيقي وآمنت بأن الحرب وسيلة وليست غاية، الحرب وسيلة الثوار، والقضية المهمة هي القضية الثورية، الأفكار الثورية الاحداث الثورية، الوجدان الثوري، والفضائل الثورية "والحركة الثورية لا تحتاج إلا إلى بضع رجال وبضعة بنادق وإلى بعض التدريب مصحوبا بروح التصميم على الأنتصار"

بعدها التحق الكثير من الرجال بالكفاح المسلح ومنهم "جميل متي وشيبا هامي" اللذان أستشهدا بتاريخ١٢ / شباط/ ١٩٨٤ في قرية " هيجركي القريبة من سيميل التي شهدت مذابح شعبنا عام١٩٣٣ " "اول شهيدين في الحركة" وهما يقاتلان قوات السلطة والمفارز الخاصة من الجحوش. عندئذ قال نينوس بثيو بعد استشهادهما: "كنت قد عاهدت الرفاق في الكونفرانس التأسيسي للحركة على مواصلة النضال في الحركة –زوعا حتى النهاية، لكن بعد استشهاد جميل وشيبا عاهدت نفسي هذه المرة على مواصلة المسير مع الرفاق الأخرين حتى تحقيق مطالب شعبنا العادلة أو نيل الشهادة"

وفي تموز من عام١٩٨٤ التحق ايضا السيد يونادم كنا "من قياديي زوعا الداخل" مع عدد من رجال الحركة – زوعا بالحركة المسلحة بعد الاحداث المؤلمة التي حدثت في شهر تموز ١٩٨٤ عندما أعتقلت السلطة اكثر من١٥٠ شخصا لأنتمائهم إلى التنظيم السري للحركة الديمقراطية الآشورية، وبعد محاكمات صورية حكم على مجموعة من الرفاق بالسجن المؤبد وعلى ثلاثة من قياديي الحركة- الداخل – بالاعدام.

وهنا تبرز الحاجة إلى القول ونحن نحتفي بالذكرة الثانية والثلاثين لتاسيس زوعا والذكرة التاسعة والعشرين لأنطلاق المفرزة الأولى المسلحة، بأن تأسيس الحركة الديمقراطية الآشورية في١٢ / نيسان / ١٩٧٩ كانت الولادة الروحية لاحلام الرومانسيين الرواد الأوائل، بينما تمثل ١٥ / نيسان / ١٩٨٢ يوم نزول الرجال الخمسة في برواري بالا بالولادة القدسية الثورية للحركة. مجدا للثاني عشر من نيسان يوم التأسيس. مجداً للخامس عشر من نيسان يوم العمل.

الخلود لشهداء زوعا والأمة.

الهوامش :

1 – ريجي دوبريه/ كتاب ثورة في ثورة ص ٩٨.

2 – كلام منقول للشهيد يوسف توما من خلال حديثه مع رفاقه داخل سجن أبو غريب.

مسار ثابت... وعطاء متجدد

حميد الموسوي

مع بزوغ فجر الثاني من نيسان ٢٠١١ تكون الحركة الديمقراطية الاشورية قد أضاءت الشمعة الثانية والثلاثين من عمر نضالها الشاق في مقارعة سلطة الاستبداد والقمع الشوفيني، وعلقت "الروزنامة الثالثة والثلاثين" من تاريخها المتألق الذي ثبت للوجود وثبت وجوده كامتداد لمسار الامة الاشورية فجر العراق وذاكرته الحضارية وكراية خفاقة باهية بين رايات النضال العراقية الاصيلة التي وقفت بشمم بوجه اعتى دكتاتورية عرفتها منطقة الشرق الاوسط وساهمت في اسقاطها، اذ عمل رواد وقادة هذه الحركة ومنذ اليوم الاول على تأسيسها على التواصل والارتباط بالحركات التحررية واسهموا بشكل فاعل في انجاح المشروع الوطني المتمثل باسقاط السلطة الدكتاتورية واقامة حكومة الشراكة الوطنية في نظام ديمقراطي تعددي يحترم جميع العراقيين بغض النظر عن قومياتهم واديانهم ومذاهبهم وتوجهاتهم ويسعى لتحقيق طموحاتهم في العيش المرفه الكريم والنهوض بالعراق الى مصاف الدول المتقدمة.

لقد برزت الحركة الديمقراطية الاشورية مع تقديرنا واحترامنا لجميع الحركات الوطنية التي انبثقت من رحم معاناة الشعب العراقي عامة والمكون الكلدو اشوري السرياني خاصة. برزت كواجهة مسؤولة وعلى كافة الصعد المحلية والعالمية وكممثل شرعي وفاعل لهذا المكون المغبون وهذه الشريحة المتنورة التي عانت التهميش والاقصاء على امتداد تأريخ العراق المعاصر.

فالحركة الدؤوبة التي يقوم بها قادة هذه الحركة في المحافل الدولية والعربية، والنشاط المتميز تحت قبة البرلمان ساهما بشكل واضح في تحقيق الكثير من المكاسب لهذه الشريحة ليس اولها تخصيص خمسة مقاعد برلمانية ممثلة لها ولا اخرها تخصيص وزارات ومستشارين في حكومة الشراكة الوطنية واحياء الثقافة السريانية بتخصيص كليات لتدريسها وطبع موروثها الحضاري، والمطالبة بالادارة الذاتية لهذه الشريحة في سهل نينوى واستحداث محافظة متآخية غير معزولة لها، والكثير من المطالب التي تمثل هموم وآمال وتطلعات هذه الشريحة التي قدمت للعراق فلذات اكبادها وساهمت في لبنات حضارته الاولى وعمارته المعاصرة.

وقفة اجلال لشهداء العراق وبناة حضارته على امتداد مسار تأريخه المجيد. تحية تبجيل وتكريم لشهداء الحركة الديمقراطية الاشورية المناضلة.

النجاح والتوفيق لمساعي المخلصين في هذه الحركة خدمة لشعبهم وعراقهم.

كل نيسان وشعبنا العراقي الاصيل بأمن وامان وخصب وخيرات.

كل نيسان والحركة الديمقراطية الاشورية بتقدم وازدهار.